إمرأة وأشياء أخرى

العجوز المتصابى الذى تفتح لوز القطن فى رأسه المستطيلة،كل يوم يمسك فرشاة الخداع ويصبغ هذا القطن الردىء ،لايهم كرشه المنتفخ لأنه ملفوف بقميص من الحرير الخالص.

عندما يمتد عمر الأشجار تتقوس وتتساقط أوراقها ،هذا العجوز لايتقوس أبدا،رزم اوراق البنك نوت فى جيوبه تجعل ظهره مستقيم وبشرته بلا تجاعيد.

له فيلا وحديقة خاصة بها كل أنواع الورود والزهور وحتى الطيور والقرود، دائما يزاحمنا فى الحديقة العامة الوحيدة التى نتنفس بها يغافلنا وينتقى أجمل الورود.

الجوصحو وكلما رأيت هذا المتصابى اشعر أن كل شيىء بالحديقة غير عادى، الأزهار بكل اشكالها والوانها كلما أحاول الإقتراب منها تبدأ فى القصر فأبدأ فى الإنحناء حتى تصل يدى إلى الطين والروس ويصطدم أنفى بالكلس والأزهار اليابسة، اما العجوز المتصابى كلما دخل الى الحديقة وقبل أن يفكر فى

الإنحناء تبدأ الأزهار تعلوا وتعلو حتى تصل إلى أنفه وتغطى بدنه وعنقه وجيوبه الدافئة بالنقود

**

جلست فى انتظار حبيبتى"وردة"

بالأمس عندما تواعدنا قالت :

_ احبك يا صابر احبك بجنون

قلت وقد سرت فى بدنى رعشة نشوى وأحسست انى صقر أحلق فى الفضاء الرحب.

قلت :

-وأنا أيضا احبك ،. احبك حتى الموت ومن اجلك سأ فعل المستحيل.

لقد صدق من سماها "وردة" كلما انظر فى عينيها أرى كل زهور الدنيا تتفتح وتبتسم وكل الطيور تغنى وترقص وأشم رائحة العبير مع الهواء وأراها ملاكا جميل" وردة" تفتحت كل زهور العالم فى وجنتيها.

بالأمس لم يكن معى سوى تذكرة الأتوبيس، اليوم سأشترى لحبيبتى "ترمس" ونشرب معا زجاجتن من البرتقال ونأكل أيس كريم ،

لم تعد ثمة مشكلة فقد اقترضت من صديق لى بعض النقود.

****

كانت الساعة الخامسة مساء وضوء الشمس الذهبى الساقط فوق نافورة الحديقة يحول مياة النافورة إلى حبات من البلور الطائر فى الوان غير عادية وعندما دسست يدى فى يد حبيبتى تملكنى إحساس غير عادى .

الهواء الرطب يدور فى حلقات حول عنقى وحول خصر حبيبتى التى تبتسم فتتفتح الزهور تفتحا غير عادى وترقص الطيور رقصة غير عادية،

الوقت يمر بطيئا كقطار متعب وانا انتظر على جمر حتى لمحتها قادمة بين الأشجار كغزال شارد .

:-وردة لماذا تأخرتى؟؟؟؟

تنهدت :

- **المواصلات.**

كم اتمنى لو امتلك سيارة صغيرة ترحما .
فى تلك الحظة أحسست أن السنين تفر من بين أصابعنا وأننا فى زمن غير عادى .
السيارة الشبح السوداء تقف فى ردهة الحديقة القانون لايمانع الأمن لايمانع .
الشمس تبدأ فى الانحدار ناحيتة الغرب مودعة اشجار الحديقة وطيور الحديقة وضيوف الحديقة،تبدأ فى الاختفاء شيأ فشيئا حتى تختفى تماما خلف زجاج السيارة المعتم .
العجوز المتصابى يمسح وجهه بمنديل معطر تصل رائحته حتى أنفى.
مياه النافورة تعلو وكأنها تنحنى ناحية ذالك الرجل ،هواء الحديقة ينسل من حول عنقى فاشعر بالإختناق.
العجوز المتصابى يوزع نقوده على كل من فى الحديقة ،.
نظرت فى عيون حبيبى لاستريح فى موجهما الهادىء الصافى ..قالت وهى تحدق فى فى وجهى بشكل غير عادى، :
_هه ماذا ترى؟؟
دهستنى الدهشة وقلت :

_ارى فى عينيكى الدنيا ،البحر والسماء.
تنهدت وكأنها تسبح فى بحر من الهم :
-البحر الذى تتحدث عنه سنموت غرقى فى سرابه ،وهذه السماء لن ترحم ضعفنا وحاجتنا فى ليالى الشتاء.

قلت محاولا اصلاح الأمر:

- سوف ينصلح الحال فنحن فى مقتبل العمر.

العجوز المتصابى لوح لى بكفه واخرج رزمة من النقود ليوزع هباته على الأمن وفتايات كثيرات يرفرفن بالقرب منه .

قالت "وردة وهى ترقب ما يحدث ":

_ نحن فى زمن أغبر لايعترف إلا بالكبار وعلى الصغار أن يبحثوا عن وطن آخر .

قلت وقد وصلتنى رسالتها:

_ ساسافر ،لقد جهزت أوراق السفر وعندما أعود لن تكون ثمة مشكلة ، سأفعل المستحيل من أجلك يا نورعيونى .

قبضت على يدى وعينيها هناك عند ذالك العجوز وقالت

- العز يشترى كل شيء

وكأن سكينا انغرس فى صدرى ، إبتسمت محاولا إخراجها من دوامة الحزن ،لكن ذالك العجوز كان يلوح لنا يكفه وكأنه يعرفتى أو يعرفها .

****

فى اليوم التالى عندما تقابلنا فى الحديقة كما تواعدنا أن نتقابل قبل الغروب ،كانت غيمة كثيفة تظلل قرص الشمس ،أحسست بنشاط غير عادى وعندما وجدت حبيبتى هرولت اليها فرحا :

متى وصلتى ؟؟

قالت بصوت مهزوم :

_ تعبت ، تعبت جدا

إخترق أُذنى صوت غراب يصيح وأنا أخاف من الأغربة فى بالنسبة لى نزير شؤم.رحت أقلب نظرى بين الأشجار ضوء الشمس المنعكس من زجاج السيارة السوداء أزعجنى

،نفس السيارة ونفس العجوز المتصابى يلوح لنا ويبتسم وحبيبتى زائغة العينين قلت لها :

_يبدو أنك تعبت فى المواصلات ؟؟

قالت بصوت وكأنه بكاء :

_ من اليوم لن أتعب فى الموصلات .

كان العجوز المتصابى يبتسم إبتسامة غير عادية ويلوح لى أيضا ..وعندما فتح السائق باب السيارة .

قالت وردة وكأنها تذكرت شيء مفاجىء:

لابد أن أنصرف .

قلت :

هل أنت متعبة؟؟

قالت :

_ جداااااا ثم أردفت :

- جهز أوراق السفر وابحث عن بلد تستطيع العيش فيه .

كان العجوز لازال يبتسم فى خُبث وعندما نظرت إليه جيدا وجدت صورة جبيبتى فى مرايا نظارته.

تظاهرت بالإنصراف،وعندما تحركت السيارة نظرت من خلف سور الحديقة ،كانت صورة حبيبتى فى مرايا سيارته السوداء.....

القاهرةنوفمبر1994